طوني سكاف

المحتويات

المقدّمة	٧
المسيحيَّة والصّليب	١٣
المسيحيَّة والتّعليم	٢٧
المسيحيَّة والإعلانات	٣٧
المسيحيَّة والجهل	٤٧
المسيحيَّة والرّوح	٥٥
المسيحيّة والقداسة	٦٥
المسيحيّة والعهد القديم	٧٣
المسيحيّة والعالم	٨١
المسيحيَّة والحرّيَّة	٩١
المسيحيَّة وخُطى الرُسُل	١٠١
المسيحيَّة والتّقليد	١١١
المسيحيَّة والكنيسة	١١٩
المسيحيَّة والإيمان	١٢٩
المسيحيَّة والمسيح	١٣٧
ماذا يعني أن أكون مسيحيًّا؟	١٤٧
لائحة المراجع	١٥٥

المقدّمة

هـل يوجـد تعليـمٌ مسـيحيٌّ واضـح وظاهـر حتّـى نَكتُـب عَنـه؟ ألم يَضِـع المفهـوم الواحد للحقّ المسـيحيّ ولـم يعد بالإمـكان الكتابة عنه بثقـة؟ الجـواب عـن هـذا السـؤال هـو طبعًـا لا. مع ذلـك، هـذا الكتاب لا يحتـوي أيّ ادّعـاء منّـي بامتلاك المعرفـة الحصريَّة للمسـيحيَّة مُقابل المعرفـة النّاقصـة للآخريـن. بـل علـى العكس، هـذا الكتاب وُجِـد لأنّي أومن ببسـاطة بأنّ للمسـيحيَّة أُسُسًـا ومبادئ ثابتةً قد نَحيد جميعًا عن بعضهـا بِقَـدر بُعدِنـا عـن دراسـة كلمـة الله. لذا تسـتحقّ مسـيحيَّتُنا في كلّ زمـن أن نجتهـد لأجـل فهمهـا أكثـر، وإذا لزم الأمر إعـادة تصحيح أو تصويـب مـا قد اختلـط علينا فيها. بالتّأكيد، ليسـت معرفتي للمسـيحيَّة كاملـة أو معصومـة، لأجـل ذلـك درسـتُ وراجعـتُ وكتبتُ بنـاءً على ما كُتِـب ومـا يُكتَـب بهـدف مشـاركة مـا تعلّمتـه لفائـدة الآخريـن، ووفاءً

لمَـن تعلّمـتُ منهـم أيضًـا. أسـتطيع أن أقـول إنّنـي كتبتُ هـذا الكتاب الصّغير لسـببَين رئيسـيَّين علـى الأقلّ.

السّـبب الأوّل هـو لأنّـي أومن بـأنّ هذه الوصيّـة: "وَمَا سَـمِعْتَهُ مِنِّي بِشُـهُودٍ كَثِيرِيـنَ، أَوْدِعْـهُ أُنَاسًـا أُمَنَـاءَ، يَكُونُونَ أَكْفَـاءً أَنْ يُعَلِّمُـوا آخَرِينَ أَيْضًـا" (٢ تيموثـاوس٢:٢)، هـي لـي كما كانـت لتيموثاوس. وهـذا الأمر يفتـرض وجـود تعليـم حـقّ نسـتطيع أن نصـل إليـه. مـن الطّبيعـي أنَّ مَـن يريـد أن يُطيـع هذه الوصيّـة عليـه أن يبحث عن الحقّ المسـيحيّ باجتهـاد وأمانـة، ويشـارك مـا توصَّـل إليـه مـع آخريـن، علـى الرّغم من كلّ ضعفـه ومحدوديّته.

"اِقْتَـنِ الْحَـقَّ وَلاَ تَبِعْـهُ وَالْحِكْمَـةَ وَالأَدَبَ وَالْفَهْـمَ" (أمثـال ٢٣: ٢٣). كيـف أو لمـاذا يدعونا اللهُ في الكتاب المقدّس إلـى المحافظة على أمرٍ مـا إذا لـم يكـن بالإمكان الوصـول إليه؟ في أثناء محاكمة يسـوع، سـأل بيلاطـس الـرّبّ: مـا هو الحـقّ؟ ولأوّل وَهلةٍ، كان من الممكـنِ أن نعتقد أنّـه مُهتَـمّ بـأن يعـرف الحـقّ حتّـى يخضع لـه، لكنّ الـرّبّ لـم يُجِبه ولا بكلمـة. فـي الواقـع، لـم يكـن بيلاطس يبحث عـن الحقّ، بـل كان الحقُّ أمامـه، وكان هـذا الحـقّ يتحدّاه حتّى يأخذ هو نفسـه موقفًـا منه. أكثر النّـاس، فـي كلّ زمـان ومـكان، يدّعون أنّهم مسـتعدّون للخضـوع الحقّ ولاتّباعـه إذا تأكّـدوا مـن وجوده ومعرفتـه، لكن الحقيقة هـي أنّ الحقّ ظهـر بقـوّة وبوضـوح وهم لم يحبّـوه، "وَهَـذِهِ هِـيَ الدَّيْنُونَـةُ: إِنَّ النُّورَ قَـدْ جَـاءَ إِلَـى الْعَالَـمِ وَأَحَبَّ النَّـاسُ الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِـنَ النُّـورِ لأَنَّ أَعْمَالَهُمْ

كَانَتْ شِرِّيرَةً. لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ السَّيِّئاتِ يُبْغِضُ النُّورَ وَلاَ يَأْتِي إِلَى النُّورِ لِئَلَّا تُوَبَّخَ أَعْمَالُهُ" (يوحنا ٣: ١٩-٢٠).

ممكن أن نظنّ أنّ الحقَّ مُجَزّأ وصعب المنال، وإذا أردنا الحصول عليه فذلك يتطلّب مجهودًا كبيرًا منَ البحث والتّحليل والجمع، وعلى الأرجح لن نصل إليه. هذا الفكر يُريح الضّمير ويجعل النّاس لا يهتمّونَ بما لا يستطيعونَ أن يُحدِّدوه أو يعرفوه. بينما يقول الوحي في الكتاب المقدّس بصراحة إنّ النّاموس بموسى أُعطِي، أمَّا النّعمة والحقّ فبيسوع المسيح صَارا. والمسيح ظاهر ومُعلَن وحقيقيّ. لقد جاء إلى هذا العالَم، كما قال هو بنفسه، ليشهد للحقّ، وهو قال أيضًا: "وتعرفون الحقّ". هل نستطيع أن نتّهم الرّبّ بالفشل؟! إنَّ الّذي يبحث بإخلاص لا بُدَّ أن يجد، والّذي يسعى سوف ينال، والّذي يطلب سوف يأخذ. إنّ الحقّ موجود ومُعلَن وظاهر وأكيد، والتّحدّي هو أن نخضع له ونتحرّر من عبوديَّة الجهل والضّياع.

ممكن أن نظنّ أيضًا أنّ الحقّ قد تغيّر! لكن الكتاب المقدَّس يقول: "عَدْلُكَ عَدْلٌ إِلَى الدَّهْرِ وَشَرِيعَتُكَ حَقٌّ" (مزمور ١١٩: ١٤٢). هل يتغيّر الرّبّ حتّى يتغيّر حقّه؟ هل تتغيّر مشاعره وصفاته وقداسته ومشيئته؟ نحن الذين نتغيّر، ونحن الذين نريد أن لا نُواجه الحقّ، فنتظاهر بأنّه تغيَّر. في رسالة الرّسول بولس إلى أهل رومية، وصَفَ بعض النّاس بأنّهم "استبدلوا حقّ الله بالكذب". فالكذب هو تغيير في الحقّ، حتّى لو كان تغييرًا بسيطًا. فالحقّ ليس اختبارًا

حتّى يتغيَّر، وليس إعلانًا متدرِّجًا حتّى يتجمَّع ويزداد، لذلك لا يمكن أن يكون هو ما يحبُّه الإنسان أو يستحسنه، بل ما يجب أن يتّبعه حتّى يتغيَّر. وهكذا نصبح جميعًا عند اتّباعنا الحقّ مشابهينَ صورة يسوع الّذي أطاع في كلّ شيء.

ممكن أن نظنّ أيضًا أنّه يستحيل علينا السّلوك بحسب الحقّ! ممكن أن نظنّ أنّ الرّبّ لم يُعطِ وصايا وأحكامًا، بل تمنّيات ومثاليّات وكلامًا جميلًا يُطرب السّامعين ويُلهب قلوبهم. لكن البشير يوحنّا كتب ما لا يُلائم ذلك: "فَرِحْتُ جِدًّا لأَنِّي وَجَدْتُ مِنْ أَوْلاَدِكِ بَعْضًا سَالِكِينَ فِي الْحَقِّ، كَمَا أَخَذْنَا وَصِيَّةً مِنَ الآبِ" (٢يوحنا ٤). فالكتاب المقدَّس واضح من ناحية ضرورة السّلوك باستقامة في الحقّ. إنّ الّذي صنع معنا العجيبة الأولى، وهي خلاصنا من عبوديّة الخطيَّة، يستطيع بروحه القدّوس أن يمنحنا قوّة لنعيش الحقّ ونخضع له.

أُكرِّر بأنّي لا أدَّعي أبدًا مَعرفة الحقّ كلّه، لكنّي أومن بأنّي وجدتُه في يسوع الكتاب المقدَّس، وبأنّي أتبعه وأنادي بإنجيله؛ إذ قد أصبحتُ حرًّا من الخوف والخجل، وعليَّ واجبٌ كبير وخاصّ وثقل بأن أُشارك هذا مع مَن أُحبّ.

السّبب الثّاني الرّئيس لكتابتي هذا الكتاب هو الحاجة الماسّة الآن لمضمونه. في هذا الزّمن، يضع النّاسُ مكان الحقيقة الاعتدال أو الاستحسان. ويظنّون أنَّ رأيك هو شأنك ولا داعي للكتابة عنه عندما لا يتلاءَم مع رأي الآخرين. أليس هذا زمنًا أصبحَت فيه

الأخلاق مسألة نِسبيّة تعتمد على وجهات نظر النّاس واعتباراتهم؟ ألم يَغْدُ زمنًا أصبح فيه الحكم على الشّر يُعَدُّ استبدادًا، والتّماشي مع الانحطاط موقفًا حكيمًا؟ أَلَمْ تصبح الدّعوة الاجتماعيَّة لفرض قيود أخلاقيّة وقِيَم سماويّة إنسانيّة عامّة تعدّيًا على حريّة الآخرين وممسًّا برغبتهم في ممارسة فجورهم علانيّة؟ ألم تصبح المسيحيَّة مُتوافرة بكلّ الألوان والموديلات وبحسب الطّلب؟

إنَّ التّعليم المسيحيّ هو أغلى ما في هذه الدّنيا. ومُشكلة عندما يُهْمَل، لكن كارثة عندما يُشوَّه. والحزن أمام هذا الواقع قد يؤدّي إلى الصّمت أحيانًا، لكن هذا الصّمت إذا استمرّ طويلًا يُحزن الله نفسه ويُهين صاحبه. يا لروعة الزّمن الذي كان فيه قول الحقيقة ذا قيمة كبيرة! ويا لروعة الزّمن الّذي كانت فيه كلمة الله عزيزة ومعروفة ومسموعة! كان زمانًا فيه رجال يرفعون الصّوت عاليًا بلا خوف أو خجل ضدّ انحطاط العالَم وشرور تعاليمه.

إنّ الإيمان المسيحيّ ليس مسألة قلبيّة وشخصيّة فحسب، لكنّه رسالة ودعوة سماويّة إلى المصالحة مع الله، وإلى حياة البرّ والقداسة. فالرّبّ كان واضحًا جُلّ الوضوح حين وصَفَ محبّة العالم على أنّها عداوة لله. وأنَّ الصّراع بين وصايا الرّبّ وتمرّد الإنسان هو صراعٌ قديم. وأنَّ المؤمن مدعوّ، وسط هذا الصّراع، إلى أن يكون هذا الصّوت الصّارخ لأخيه في المجتمع، يدعوه إلى التّوبة والعودة عن الشّرور، "مُجَاهِدِينَ مَعًا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ لِإِيمَانِ الإِنْجِيلِ" (فيلبّي

١: ٢٧)، "غَيْرَتُكُمْ قَدْ حَرَّضَتِ الأَكْثَرِينَ" (٢كورنثوس ٩: ٢). فالإيمان المسيحيّ نفسه يدعونا لكي نجتهد ونتعب لأجل خلاص الآخرين من الجهل وعبوديّة الشّيطان والخطيّة، الّتي هي أصل كلّ مشكلات العالَم وأمراضه وسببها. الإيمان المسيحيّ نفسه يدعونا إلى رفع الصّوت عاليًا لأنّه لا بُدّ مِن وجود مَن يسمع. هذا ما أظهرته حياة الرّسول بولس إذ يقول: "...كَمَا تَعْرِفُونَ أَيَّ رِجَالٍ كُنَّا بَيْنَكُمْ مِنْ أَجْلِكُمْ" (١تسالونيكي ١: ٥)، "فَإِنِّي إِذْ كُنْتُ حُرًّا مِنَ الْجَمِيعِ اسْتَعْبَدْتُ نَفْسِي لِلْجَمِيعِ لأَرْبَحَ الأَكْثَرِينَ... صِرْتُ لِلْكُلِّ كُلَّ شَيْءٍ لأُخَلِّصَ عَلَى كُلِّ حَالٍ قَوْمًا" (١كورنثوس ٩:١٩-٢٢).

وأنا مُتمسِّك بحريَّة الضّمير والتّعبير الّتي منحنا إيّاها الله الخالق، وبكُلّ محبّة واحترام لمَن لا يوافقني الرّأي، أتقدّم بهذا الكِتاب المتواضع مُصلّيًا وآمِلًا أن يساعد كُلّ مَن لا يخاف أن يقرأ وجهة نظر ما قد تَحمِل في طَيّاتِها بعض الأجوبة أو الأسئلة المُهمّة، أو على الأقلّ، قد تَخلُق عند القارئ حافزًا جديدًا للبحث والدّراسة الأعمق للمسيح وللمسيحيَّة في الكتاب المقدّس وفي كُتب أُخرى.